

نفحات القرآن

[46] الطريق ورجوع بخل البخلاء على أنفسهم لأنهم محرومون من فيض الله ورحمته اللامحدودة تقول : (والله الغني وأنتُم الفقراء) . قد يكون هذا التعبير من أجل رفع التصوّر بأن الله تعالى عندما يدعو الناس إلى الإنفاق في سبيل الله فإنه محتاج إلى إنفاقهم ، أو أن هذه الجملة تتنافى مع الجملة التي وردت في آيات سابقة حيث تقول : (ولا يسئلكم أموالكم) . تنطق الآية بأن الله غني على الإطلاق والجميع محتاجون إليه ، فعندما يأمرهم - إذن - بالإنفاق فليس ذلك لحاجته ، بل لأنهم هم المحتاجون ، ويصلون إلى الكمال عن هذا الطرق ويتقربون إلى ذلك الوجود اللامحدود. صحيح أن بداية الآية ترتبط بـ (الفقر والغنى الماليين) وتنظر إلى الإنفاق في سبيل الله ، غير أن الإطلاق في ذيل الآية يعطي مفهوماً واسعاً ، ففي الوقت الذي تعرّف الله سبحانه بالغني المطلق فإنها تعتبر البشر محتاجين في كل وجودهم ، وقد نفذ الفقر إلى أعماق ذواتهم ولهذا يمكن استخدامه للإستدلال في هذا البحث . على أي حال فإن من الملفت أن الله هو الذي تفضّل بالهبات كلها ووهبها للعباد ثم يطلب منهم أن ينفقوا في سبيل الله ، وهذه مقدّمة لهبات أكبر . ولا ينحصر هذا في قضية الإنفاق فحسب ، بل يجري في كلّ التكاليف وتعود بنتائجها على العباد أنفسهم . وقد جاء هذا المضمون في آيات عديدة منها ما تضمّنته الآية (47) من سورة سبأ حيث نقرأ : (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىَّ) كما جاء في الآية (6) من سورة العنكبوت : (وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّ اللَّهَ يُجَاهِدُ لِلنَّفْسِهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ عَنِ الْعَالَمِينَ) . * * *